

المؤرخ النسابة ابن حزم وكتابه جمهرة أنساب العرب

الدكتور عبد الواحد عبد السلام شعيب
جامعة الفاتح- ليبيا

ابن حزم هو الفقيه المؤرخ النسابة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم¹، ولد سنة 384هـ/994م وأصل آبائه من قرية منت لشم من إقليم الزاوية من عمل أونية من كورة لبلة من غرب الأندلس، وسكن هو وأبوه قرطبة ونالا فيها جاهاً عظيماً، إذ كان والده أحمد أحد كبار وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ثم ابنه المظفر عبد الملك من بعده.

وقد شبَّ ابن حزم على طلب العلم منذ نعومة أظفاره، فسمع وروى عن جلة من الشيوخ منهم القاضي يونس بن عبد الله وأبي عمر أحمد بن الجصور وأبي الوليد بن الفرضي ومحمد بن سعيد بن نبات، وأبي عمر أحمد بن محمد الطلمنكي² وغيرهم.

1- ينظر في ترجمته: الحميدي: جذوة المقتبس 489/2 - 493 رقم 708. صاعد الطليطلي: طبقات الأمم ص 181 - 184. ابن بسام: الذخيرة ق 1/1 ص 167 - 172. ابن بشكوال: الصلة 605/2 و 606. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب 354/1 - 357 رقم 253. الضبي: بغية الملتبس 543/2 - 545 رقم 1208. عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 46 و 47. ابن خلكان: وفيات الأعيان 325/3. ياقوت الحموي: معجم الأدباء 1650/4 - 1659 رقم 720. ابن الخطيب: الإحاطة 111/4 - 116. الذهبي: سير أعلام النبلاء 184/18 - 212 رقم 99. ابن خاقان: مطمح الأنفس ص 279 - 282. القفطي: تاريخ الحكماء ص 156. ابن خلدون: العبر 239/3. الصنفدي: الوافي بالوفيات 374/2. ابن دحية: المطرب ص 92. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان 198/4 - 202. المقرئ: نفح الطيب 77/2 - 84. حاجي خليفة: كشف الظنون 1411/2. الزركلي: الأعلام 59/5. بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي ص 213 - 221.

2- ابن بشكوال: الصلة 605/2. الذهبي: سير أعلام النبلاء 185/18.

كما شغل ابن حزم في شبيبته منصب الوزارة لكل من عبد الرحمن المستنصر بالله ابن هشام بن عبد الجبار، ثم لهشام المقتدر بالله، إلا أنه سرعان ما هجر السياسة وأقبل على قراءة العلوم¹ وتقييد الآثار والسُنن، وكانت وفاته سنة 456هـ/1063م².

وقد رزق ابن حزم ذكاءً مفرطاً وذهناً سيالاً³، حيث يقول تلميذه أبو عبد الله الحميدي: "ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين"⁴.

وهكذا فإن تفرغ ابن حزم للعلم⁵ والمعرفة مع فرط ذكائه وقوة حفظه، قد جعلت منه إماماً عالمياً ومفكراً موسوعياً، ليس مستوى بلاد الأندلس وحسب، بل وعلى مستوى العالم الإسلامي كافة. ولذلك يقول فيه تلميذه صاعد بن أحمد الطليطلي: "كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان وفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسيرة والأخبار"⁶.

أما فيما يتعلق بعلم النسب فإن تمكن ابن حزم ودرايته به، جعل من العلامة ابن خلدون يسميه إمام النسابين والمحققين دون منازع، وأن يعتمد مصدرًا أساسيًا في كتابه (العبر)، لا بل إن نسبه هو نفسه قد اعتمد فيه عليه.

1- ابن خاقان: مطمح الأنفس ص280.

2- ابن بشكوال: الصلة 606/2. أبو الطاهر السلفي: أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي ص52.

3- الذهبي: سير أعلام 186/18.

4 الحميدي: جذوة المقتبس 491/2.

5- لقد عبر ابن حزم عن اعتكافه على العلم وتشاغله به في شعره أيضاً حين قال:

فلزنا البيوت نستعمل الحبر •• ونملأ وجوه الطروس

وقنعنا بما رزقنا فصرنا •• أمراء على الملوك الروس

ينظر أبو بكر الطرطوشي: سراج الملوك ص580. ابن بشكوال: الصلة 605/2 و606.

6- ابن بشكوال: الصلة 605/2. الذهبي: سير أعلام النبلاء 187/18.

بيد أن شهرة ابن حزم كنسابة - فضلاً عن كونه مؤرخاً ثبّتاً - قد جاءت من خلال كتابة الحافل (جمرة أنساب العرب) الذي يعدُّ من أهم كتب الأنساب العربية وأكثرها دقة وتفصيلاً.

وبالنسبة لهذه المداخلة فإني رأيت أن أركزها في النقاط التالية:

أولاً- مادته المصدرية في علم النسب.

ثانياً- مزجه بين علمي النسب والتاريخ في كتابه.

ثالثاً- الاستشهاد بالأشعار والأمثال في كتابته للنسب.

رابعاً- استخدامه للمنهج النقدي في مؤلفه.

خامساً- الرّبط بين الأنساب في المشرق وما يتّصل بها في الأندلس.

سادساً- تاريخه للمرأة وبيان النسبة إليها.

سابعاً- القيمة المرجعية لكتاب (الجمهرة) في معرفة النسب الشريف

أولاً: مادته المصدرية في علم النسب:

لما كان ابن حزم عالماً موسوعياً، ومؤلفاً عرف بكثرة التأليف والتصنيف⁽¹⁾ لذا

فإن ذلك قد أدّى إلى "كثرة مصادره وتباينها سواء في كتابه " جمهرة أنساب العرب " الذي نحن بصدد دراسته أم في مؤلفاته ومضائيه الأخرى في التاريخ والفقه والحديث والأدب وغيرها.

غير أن من اللافت للانتباه أن ابن حزم قد أفاد كثيراً من كتب المؤرخين والنسابة الأندلسيين ممن سبقوه أمثال: قاسم أصبغ (ت 430هـ/951م) الذي صنف كتاباً مهماً في الأنساب قال عنه ابن حزم إنه " في غاية الحسن والإيعاب والإيجاز"².

1- حيث يقول صاعد بن أحمد الطليطلي: " وأخبرني ابنه أبو رافع الفضل بن علي، أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربع مائة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة " ابن بشكوال: الصلة 605/2. الذهبي: سير أعلام النبلاء 18/187.

2- ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، نقلها المقري في نفح الطيب 3/174.

ثم المؤرخ والجغرافي الكبير أحمد بن محمد الرازي (ت 344هـ/955م) مؤسس المدرسة التاريخية في الأندلس والذي من تأليفه "أنساب مشاهير أهل الأندلس". ومنهم مطرف بن عيسى الغساني (ت 356هـ/966م) الذي له كتاب في فقهاء البيرة، وكتاب في شعرائها¹ وكتاب في أنساب العرب النازلين بها وأخبارهم².

وكذلك أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني (ت 361هـ/971م) الذي كان له كتاباً في النسب³ أيضاً. وبالنسبة لهذه المؤلفات المذكورة فإنه رغم إطلاع ابن حزم واستفادته أما الخلفية الحكم المستنصر (ت 366هـ/976م) فإن مؤلفه في هذا الفن منها إلا أنه لم يصرح بالنقل عنها سواء في مقدمة كتابه أم في تضايفه. هو: "أنساب الطالبين والعلويين القادمين إلى المغرب"⁴ وعن دراية المستنصر بالتواريخ والأنساب يقول المؤرخ الناقد ابن الأبار: "وكان - أي الحكم - في المعرفة بالرجال والأنساب والأخبار أحودياً نسيج وحده، يعترف له بالرسوخ فيه أهل عصره"⁵. ونتيجة لذلك فقد عول ابن حزم على الحكم المستنصر هذا بأن جعله أحد مصادره الرئيسية في (جمهرته) وصرح بالنقل من خطه عدة نصوص مطولة في مواضع مختلفة من كتابه هذا منها:

- نسبه لبني حنيفة بن لجيم⁶ بن صعب من أهل اليمامة.

- نسبه لولد طيئ بن أدد⁷، ومن بني سبأ.

1- ينظر ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس 837/2 و 1443.

2- القاضي عياض: المدارك 19/7.

3- المصدر نفسه 267/6.

4- ينظر المقري: نفح الطيب 60/3.

5- ابن الأبار: التكملة 226/1.

6- ينظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص 309 و 310.

7- ينظر ابن حزم: المصدر نفسه ص 398 و 399.

- نسبه لولد سعد العشيرة بن سبأ أيضاً. إذ يقول في آخر كل منها: "هكذا كتبتّه من خط الحكم المستنصر بالله - رحمه الله -"¹.

كما قام ابن حزم كذلك بالنقل مما دبّحه الحكم بخطه - ودون غيره من المؤرخين الآخرين - أثناء ترجمته لأحد الواقدين على الأندلس من أهل المشرق وهو: علي بن بندار بن إسماعيل بن برمك البرمكي، الذي قدم الأندلس تاجراً عام 337هـ/948م، وأخذ عنه بعض الأندلسيين وسمعوا منه كتابيه في الفقه "الموضّح" و"المنجج"².

وبالإضافة إلى هذه المصادر الأندلسية المكتوبة التي استعان بها ابن حزم في تأليف مصنّفه (الجمهرة)، فإن هناك مادة علمية مهمّة قد استقاها عن طريق الأخذ والدرس أي مما تلقفه من أفواه شيوخه بالسماع والنقل والرواية وبخاصّة شيخه المؤرخ أبي الوليد بن الفرضي (ت 403هـ/1012م) الذي أفاد من علمه الجَمّ في الحديث والتاريخ والنسب والأدب وغيرها. ولذلك نوّه بأحد كتبه في "رسالته في فضل الأندلس" حيث قال: "ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد بن محمد بن يوسف بن الفرضي في المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال، ولم يبلغ عبد الغني الحافظ البصري في ذلك إلا كتابين وبلغ أبو الوليد - رحمه الله - نحو الثلاثين لا أعلم مثله في فنّه البتّة"³.

ولابن الفرضي هذا كتاب آخر في مجال النسب هو "المتشابه في أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم"⁴. وفضلاً عن هذين الكتابين فإن مؤلفه الشهير في علم التراجم "تاريخ علماء الأندلس" قد ضمنه معلومات قيّمة في النسب لا تتوفر في أي مصدر

1- المصدر نفسه ص 407 و 408.

2- ينظر المقرئ: نفح الطيب 66/3.

3- ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس، نقلها المقرئ في نفح الطيب 170/3.

4- ينظر ابن خير: فهرسة ابن خير 266/1.

آخر غيره. بيد أن ابن حزم قد أشار إلى أنه قد نقل من كتاب آخر لشيخه ابن الفرضي ألا وهو كتاب " أخبار الفقهاء"¹.

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه اللانحة من كتب النسب الأندلسية المذكورة أن ابن حزم كان قد اعتمد في تأليف (جمهرته) على مصادر نادرة وجد مهمة إذ لم يبق منها الآن سوى بعض الشذور أو النقول المبنوثة في بعض المؤلفات الأندلسية أو غيرها ككتاب ابن حزم هذا أو نحوه.

أما فيما يخص كتب النسب المشرقية التي اعتمد عليها ابن حزم في تصنيف جمهرته فإنه قد أشار إلى عدد منها في بعض المواضع من هذا الكتاب مثل:

- ابن الكلبي².

- ابن إسحاق³.

- أبو عبيد القاسم بن سلام⁴.

- صحيح الإمام مسلم⁵.

- صحيح الإمام البخاري⁶.

كما أنه تجد الإشارة إلى أن ابن حزم قد اكتفى في بعض الأحيان بذكر عبارة

"وقال بعض العلماء بالنسب"⁷ أو "ورأيت لبعض أهل العلم بالنسب"⁸ أو "هكذا قال

النسابون"⁹ دون أن يحدد نسبة بعينه. وبالإضافة إلى هذه المادة المصدرية التي

وردت عنده لماماً فإن هناك مصادر أخرى قد أعانته في تأليف كتابه أيضاً مثل الرواية

1- ينظر ابن حزم: الجمهرة ص220.

2- ينظر ابن حزم: الجمهرة ص 196، 381، 318، 355.

3- ينظر المصدر نفسه: ص 355.

4- ينظر المصدر نفسه: ص301.

5- ينظر ابن الحزم: الجمهرة ص104.

6- المصدر نفسه ص82.

7- المصدر نفسه ص82.

8- المصدر نفسه ص213.

9- المصدر نفسه: ص86.

الشفهية التي منها قوله: "أخبرني بعض أعراب طيء أن محارب وبني أشجع بن ريث أذل قبائل قيس بالبادية اليوم"¹.

لذلك يبدو لنا من خلال هذه الأسماء القليلة من مصادر ابن حزم في كتابه (الجمهرة) أنه قد نهج طريقة عدم التصريح بمعظم مصادره ومطائه التي استقى منها مادته العلمية في هذا المؤلف، مكتفياً بذكر بعضها ليس غير.

ثانياً: مزجه بين النسب والتاريخ في كتابه:

إن مما يميز كتاب "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم عن غيره من كتب النسب الأخرى هو أنه كتاب جمع بين علمي النسب والتاريخ في آن واحد، وذلك لأن مؤلفه مؤرخ ونسابة في الوقت نفسه وعلى هذا الأساس فقد وصف بالنتيئة هذا الكتاب بأنه عظيم الفائدة لمن يدرسون تاريخ الإسلام في المشرق والأندلس². ونظراً للعلاق المتينة والشائج القوية التي تربط بين النسب والتاريخ فإن ابن حزم رأى أن النسب باب أساسي من أبواب التاريخ الإسلامي وأنه جزء من علم الخبر أي التاريخ³.

من هنا نجد أن ابن حزم قد ضمن مادته العلمية في النسب مادة تاريخية خصبة وبخاصة ما يتعلق منها بفن التراجم الإخبارية ناهيك عن ذكره للعديد من الغزوات والوقائع، والفرق المذهبية ولكثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية.

وبالإضافة إلى هذا فقد اشتمل كتابه (الجمهرة) على معلومات تاريخية مهمة عن أنساب الأشراف من الأمويين والعباسيين والعلويين وغيرهم، مع تتبعه الدقيق لمن دخل منهم الأندلس وتحديد أماكن تواجدهم فيها.

1- المصدر نفسه: ص 259 و 260.

2 - بالنتيئة: تاريخ الفكر الأندلسي ص 220.

3- عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص 206.

ولهذا جاء في مقدمة مؤلفه المذكور قوله: " فجمعنا في كتابنا عذا تواشج أرحام قبائل العرب، وتفرع بعضها من بعض، وذكرنا أعيان كل قبيلة مقداراً يكون من وقف عليه خارجاً من الجهل بالأنساب، ومشرفاً على جمهرتها"¹.

ونظراً لغزارة المادة التاريخية التي يتوفر عليها كتاب (الجمهرة) إلى جانب ما يخص مادة الأنساب فإننا سنجتزئ ذكر بعض الأمثلة عن تداخل النسب والتاريخ عند ابن حزم في هذا المؤلف وذلك مثل:

- ما جاء في ذكر نسب الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الثالث (الناصر) الذي قال فيه: " فولد عبد الرحمن بن محمد بن الأمير عبد الله وهو المسنى بالخلافة وإمرة المسلمين دون جميع من تقدم من أسلافه، وتلقب بالناصر لدين الله، واتصلت ولايته خمسين سنة وستة أشهر، واستولى على الأندلس وكثير من بلاد البربر استيلاءً لم يستوله أحد من سلفه بالأندلس فولد ابن حزم: جمهرة أنساب العرب أحد عشر ذكراً، وهم الحكم، الذي ولي بعده، وتسمى بالخلافة وتلقب بالمستنصر² واستمرت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوء وعلو، وكان رفيقاً بالرعية محباً في العلم، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم"³.

والحكم هذا هو صاحب المكتبة الشهيرة في قرطبة التي كانت من أكبر المكتبات التي عرفتتها الحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط، إذ إن عدة الفهارس التي

1- ابن حزم: الجمهرة ص6.

2- ينظر ترجمته: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص100، صاعد الطليلي: طبقات الأمم ص162. ابن حيان: المقتبس نشر شالميتا وآخرون ص101 و102. الحميدي: جذوة المقتبس 42/1 و46. ابن الأبار: التكملة 226/1 و227. والحلة السيرة 200/1 - 253. الذهبي: سير أعلام النبلاء 230/16 و231. الذهبي: العبر في خبر من عبر 366/1. ابن الخطيب: أعمال الأعلام 41/2 و42. ابن خلدون: العبر 175/4 و176. المقرئ: أزهار الرياض 286/2 - 294. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص457.

3- ابن حزم: الجمهرة ص100.

كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط¹.

ولما كان الحكم المستنصر مؤرخاً ثبّتاً وعالماً بالنسب، لذا فقد كان من المصادر المهمة التي عوّل عليها ابن حزم في جمهرته كما مرّ بنا وذلك لأن خطه كان حجة عند أهل العلم في الأندلس².

- ومنها ما أورده في نسب بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم الذي جاء فيه:

"ولا هز بن قريظ بن سري بن الكاهن بن زيد بن عَصِيّة بن امرئ القيس، كان من وجوه أهل دعوة بني العباس، وضرب أبو مسلم عنقه صبراً، لأنه قرأ بحضرة نصر بن سيار: "إن الملأ يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين"³ ففهمها نصر وهرب"⁴.

- وكذلك ما عبّر عنه في تتبع نسب الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك حين قال:

" فولد هشام، معاوية، لأم ولد، مات في حياته سنة 119هـ. وقاد الصّوائف عشراً من السنين متصلة"⁵ ثم قال أيضاً: " فولد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية: عبد الملك وهو أسن ولده، نكبه أبوه في حياته وسجنه، فبقي مسجوناً بضع عشر سنة حتى مات مسجوناً في ولاية أخيه الحكم بن هشام؛ والحكم الوالي من بعد أبيه، وهو الذي

1- ابن حزم: الجمهرة ص100.

2- الحميدي: جذوة المقتبس 164/1. الضبي: بغية الملتبس ص191.

3- سورة القصص الآية رقم 20.

4- ابن حزم: الجمهرة ص214.

5- المصدر نفسه: ص92.

أوقع بأهل الرُّبض¹، وقتل الفقهاء والخيار، وخصى عدد من ذوي الجمال من أهل قرطبة².

ومن اللافت للانتباه أن ابن حزم قد ضمّن أنساب كتابه معلومات تاريخية كثيرة جداً ودقيقة فيما يتعلق بالترجمة للأعلام من حيث ذكر سنوات وفياتهم وفقّر من سيرهم ولمع من أخبارهم. ويمكن أن نكتفي بذكر مثال واحد منها فقط وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، وهو ما ساقه أثناء ذكره لنسب بني كعب بن عمرو مُزيقياء، حيث قال: "والى ثمالة ينتمي المبرّد النحوي البصري محمد بن يزيد بن عبد الأكبر. . . . بن عوف بن أسلم وهو ثمالة المذكور، ولد ليلة الإثنين ليلة الأضحى سنة 210هـ، ومات - رحمه الله - يوم الاثنين لليلتين بقيتا لذي الحجة سنة 286هـ ؛ ودفن بباب الكوفة ببغداد"³.

إن من خلال هذا الكمّ الهائل من التراجم والأعلام المشاهير من العلماء والفقهاء والشعراء والمؤرخين والنسابة ممّن اضطلع ابن حزم بذكرهم في كتابه الحافل (الجمهرة) يتبين لنا شيئين اثنين:

أولاً: لما كان ابن حزم عالماً موسوعياً ومولفاً كبيراً فإن ثقافته الواسعة هذه قد تجسدت بجلاء في كتابه القيم (جمهرة أنساب العرب) الذي أضحى يمثل أشبه بدائرة معارف تضم مختلف فنون العلم وضروب المعرفة من فقه وحديث وسيرة نبوية وعلوم قرآن ونحو ولغة وجغرافية وتاريخ ونسب وأدب وشعر وغيرها.

1- وهي الثورة التي تزعمها الفقهاء في الضاحية الجنوبية من مدينة قرطبة ضد الأمير الحكم بن هشام الربضي سنة 202هـ/817م الذي قمع هذه الثورة بمنتهى القسوة فقتل أعداداً جمة منهم، وغرّب من بقي منه خارج الأندلس. ينظر ابن حيان: المقتبس الثاني مخطوط ص13. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس 40/1 رقم 16 و896/2 رقم 1551. ابن الأبار: الحلة السّيراء 44/1.

2- ابن حزم: الجمهرة ص95.

3- ابن حزم: الجمهرة ص377.

ثانياً: إن المادة التاريخية الغزيرة المتعلقة بفن التراجم الإخبارية بخاصة والتي يغصن بها هذا الكتاب تعد كفيلاً بجعله كتاباً في التراجم إلى جانب كونه كتاباً في علم النسب كذلك.

لكنه هناك جانباً مهماً آخر في منهجيه ابن حزم التاريخية قام بتطبيقه في كتابته للنسب أيضاً ألا وهو ذكره للعديد من العجائب والغرائب النادرة. إذ إنه كان قد خصص لمثل هذه النوادر والطرائف والأشبه والنظائر مؤلفاً مستقلاً سماه: "نقط العروس في تواريخ الخلفاء"، وهو الذي أطلق عليه شيخ مؤرخي الأندلس ابن حيان اسم "نوادر الأخبار"¹.

ومن الأمثلة على ذلك عند ابن حزم، قوله: "خليفتان تصالحا، وهو أمر لم يُسمع بأذل منه، ولا أدل على إدبار الأمور، يحيى بن علي بن حمود بقرطبة، والقاسم ابن حمود بإشبيلية"²، وقوله: "عن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: " ولا يُعلم رجل تزوج بناته أربعة خلفاء إلا عبد الله بن عمرو بن عثمان هذا"³، وفي نسبه لبني غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر يقول: "ومنهم: ضرار بن عمرو، المتكلم، أحد شيوخ المعتزلة، وكانت فيه ثلاثة أعاجيب: كان معتزلاً كوفياً، وكان عربياً شعوبياً، وزوج ابنته من علق أسلم"⁴، وقال عن القاسم المؤتمن بن هارون الرشيد الذي خلفه المأمون - وكان ضعيفاً - أنه: "أطلق أسدين على النساء والرجال في حمامين كانا له على شارع معمور"⁵.

1- ينظر ابن حيان: المقتبس، نشر شالميتا وآخرون ص123.
2- ابن حزم برواية ابن عذاري: البيان المغرب، تحقيق ليفي بروفنسال 132/3 و133. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال 132/2.
3- ابن حزم: الجمهرة ص85.
4- المصدر نفسه ص 248.
5- المصدر نفسه ص23.

أما عن التردّي الذي شهدته الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م، وقيام عصر الطوائف فيقول ابن حزم " فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها: أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها، كلهم يتسمى بأمرة أمير المؤمنين، ويُخطب لهم بها في زمن واحد"¹.

يضاف إلى هذا كله أن هناك سمة أخرى من سمات منهج ابن حيان في معظم تأليفه وهي اهتمامه بالمعطيات الإحصائية، من حيث الدقة في تحديد وحصر سنوات أعمار تراجمه أو المدد التي شغلوها في الوظائف التي تقلدوها، أو تحديد من هو أول من فعل كذا، أو أول من نسب إليه كذا. ومن كتبه التي اشتملت على مثل هذه الإحصائيات الدقيقة كتابه (نقط العروس في تواريخ الخلفاء) و(جوامع السيرة النبوية) ورسائله في القراءات وأسماء الصحابة والرواة وغير ذلك.

وعليه فسنتكفي بذكر بعض الأمثلة التي عنده في "جمهرته" على سبيل الاستدلال وليس على سبيل الحصر، فمنها ما ذكره في نسب بني جمح عندما قال: "فولد حطاب: محمد بن حطاب، وولد حاطب الحارث، هاجر مع أبيه إلى أرض الحبشة، ومحمد، ولد بأرض الحبشة، وهو أول من سمّي في الإسلام، محمداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم"²، وجاء في نسبه ليوسف بن عمر بن عامر بن مُعْتَب قوله: "وابنه محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند، وله سبع عشرة سنة"³، أما بالنسبة لربيعة بن عثمان بن نصر بن معاوية فإنه أول عربي قتل عجمياً يوم

1- ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء ص 97 و98.

2- ابن حزم: الجمهرة ص 162.

3- المصدر نفسه ص 268.

القادسية¹. وعن المطلب بن عبد الله بن عمر بن مخزم يقول ابن حزم: "رُوي عنه الحديث، وزوجه سعيد بن المسيّب ابنته بصادق درهمين لا صداق لها غيرهما"².

وعلى أية حال فإن هذه الدقة المتناهية في جمع وإحصاء مثل هذه الأشياء عند ابن حزم في كتاباته، تدل دلالة قاطعة على غزارة علمه، وفرط ذكائه³، ووفرة مصادره فضلاً عن دربته ودربته الفائقة في ميدان التأليف والتصنيف العلمي.

ثالثاً: الاستشهاد بالأشعار والأمثال في كتابته للنسب:

يعدُّ العلامة ابن حزم إحدى القمم الفكرية في تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية فقد كان عالماً بالفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والمنطق والفلسفة والتاريخ والنسب والأدب والشعر وغيرها.

ولما كان ابن حزم هو أحد أقطاب المدرسة الأندلسية في عصر الطوائف في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، فإنه يمثل رابع أربعة من العلماء المؤرخين وهم ابن حيان وأبي عبد الله الحميدي وأبي عمر بن عبد البر الحافظ والذين تحتل كتاباتهم أهمية كبيرة من الناحية الأدبية لتوفرها على الكثير من القصائد والأشعار والنصوص النثرية الأمر الذي يجعل منها مصادر مهمة لدراسة التاريخ والأدب على حدّ سواء.

غير أنه بالنسبة لابن حزم بالذات فإن مؤلفه الشهير (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) بعد قطعة فريدة في الميدان الأدبي ناهيك عن قيمته التاريخية من الناحية الاجتماعية أيضاً.

1- ينظر المصدر نفسه ص269.

2- المصدر نفسه ص142.

3- ولذلك وصفه ابن بسّام الشنتريني في ذخيرته بقوله: " فإنه كان كالبحر لا تكف غواربه، ولا يروى شاربته ". ابن بسّام: الذخيرة ق1/م1/ص167.

وفيما يختص بعلم النسب، فإن كتاب (الجمهرة) له أهمية لا بأس بها من الناحية الأدبية كذلك بسبب غزارة مادته النثرية والشعرية فضلاً عن بلاغة أسلوبه وطلاوته ونصاعة عباراته وجزالة ألفاظه وسهولة معانيه.

ونظراً لكثرة الشواهد الشعرية التي استدل بها ابن حزم في جمهرته، فإننا سنقتصر على الإتيان ببعض منها مثل: ما جاء في حديثه عن بني أبي بكر ابن كلاب ابن ربيعة بن صعصعة حين قال: "منهم كان جَوَّاب الذي نفى بني جعفر بن كلاب عن بلادهم، ولهم يقول معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب:

بُغَاث الطير أكثرها فراخاً .^١ وأم الصقر مقلات نزورُ

ومنهم: مَرِيع بن وعوعة بن سعد بن كلاب الذي يقول فيه جرير:

زعم الفرزدقُ أن سَيَقْتُلُ مَرِيعاً .^٢ أبشِرْ بطول سلامة يا مَرِيعُ"^١.

كما يستخدم ابن حزم أحياناً الشعر في تفسير ألقاب بعض الشعراء أو ذكر سبب تسميتهم بذلك. ومن هؤلاء المثقَّب الشاعر واسمه عائد بن محقن ابن بن ثكرة بن لكيز، والذي سَمِيَ بالثقَّب لقوله: وثَقَّبَن الوصاوص للعيون^٢ وصدر البيت هو:

"رددن تحيةً وكننٌ أخرى". ثم هناك المُرَقَّ الشاعر، وهو شاس بن نهار بن منبه بن نكرة بن لكيز وقد سمي بهذا الاسم لقوله:

فإن كنتُ مأكولاً فكن خير أكل .^٣ وإلا فادركني ولما أمزق^٣

وعن سبب تسمية جعفر بن قريع بن عوف بن زيد مناة "بأنف الناقة" يقول ابن حزم: "لقَّب لذلك لأن أباه نحر ناقة، فقسمها بين نسانه، وأعطى ابنه جعفر رأس

1- ابن حزم: الجمهرة ص 282 و 283.

2- ابن حزم: الجمهرة ص 298.

3- المصدر نفسه: ص 299.

الناقة، فأخذ بأنفها، ف قيل له ما هذا، فقال: أنف الناقة، فلقب بذلك¹. غير أن هذا اللقب

ظل يغضب أولاد جعفر ويقلقهم حتى مدحهم الحطيئة الشاعر بقوله:

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ . . . وَمَنْ يُسَاوِي بَأْنْفِ النَّاقَةِ الذُّنْبَا²

وفي نسب عنبسه بن أمية بن عبد شمس يسيتطرد ابن حزم قائلاً: "وكان عنبسة مُسَيِّفاً قد افتدته بنو عبد مائة ثلاث مرات. . . والمُسَيِّف: الذي هلك ماله. قال الشاعر:

وَأَبْلٌ وَاسْتَرْخَى بِهِ الْخَطْبُ بَعْدَمَا . . . أَسَافَ وَلَوْلَا سَعِينَا لَمْ يُؤَبَّلْ³

لكن إلى جانب استشهاد ابن حزم بالأشعار في الأنساب فإنه قد أمدنا بأعداد جمة من أسماء الأدباء والشعراء، وبمعلومات قيمة تتعلق بشيء من سيرهم وأخبارهم، فمثلاً في ذكره لنسب بني عمرو بن أد وهم مزيّنه يقول: " والشاعر زهير بن أبي سلمى، وأخته سلمى بنت أبي سلمى شاعرة أيضاً، واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن هذمة، وبناه بجير وكعب، الذي مدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهما صحبة، ومن ولده: العوام بن عقبة، وعقبة هو المَضْرَبُ بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، كلهم شعراء في نسق"⁴.

وفي حديثه عن الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر⁵ يذكر أنه كان فقيهاً وشاعراً أخبارياً متنسكاً¹، أما الشاعر مروان الطليق² فقد وصفه بأنه من الشعراء

المُفْلِقِينَ الْمُحْسِنِينَ³

1- المصدر نفسه ص 219.

2- المصدر نفسه والصفحة.

3- نفسه ص 79 و 80.

4- ابن حزم: الجمهرة ص 201.

5- كان عبد الله هذا من نجباء أولاد الخلفاء، ومن تأليفه: كتاب " العليل والقتيل في أخبار بني العباس " وكتاب " المسكنة في فضائل بقي بن مخلد ". وقد سعى به إلى أبيه عبد الرحمن الناصر فسجنه في آخر خلافته، ثم أنقذ قتله سنة 339هـ/950م. ينظر: ابن الأبار: التكملة 231/2،

هذا فيما يخص الاستشهاد بالأشعار عند ابن حزم وما ينضوي تحته كما بينا، ولكن بقيت هناك مسألة أخرى، تتناغم مع هذا السياق أيضاً ألا وهي استعماله لبعض الأمثال العامة واستشهاد به أيضاً في كتابته للنسب، ويبدو أن ذلك راجع إلى التمكن العلمي والأدبي لديه في المقام الأول، إذ إن هذه الأمثال تعد ضرباً من ضروب الأدب، لأنها من أدوات الكتاب والأدباء الكبار ولذلك يقول عنها الميداني بأنها: " تتحلى بفرائدها صدور المحافل والمحاضر، وتتسلى بشواردها قلوب البادي والحاضر، وتقيد أوابدها في بطون الدفاتر والصحائف، وتطير نواهضها في رؤوس الشواهد وظهور التنايف"⁴.

نتيجة لذلك نجد أن كتابات المؤرخين والعلماء الكبار أمثال ابن حزم وأضرابه تتوفر على جملة من الأمثال العربية الشهيرة مثل: ليس الخبر كالعيان⁽⁵⁾، واتسع الخرق على الراقع⁶، ولا بد دون الشهد من إبر النحل⁷، والياس عما فات يعقب راحة¹، إلى غير ذلك.

والحلة السيرة 206/1 – 208. الحميدي: جذوة المقتبس 414/2 و415. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب 187/1.

1- ابن حزم: الجمهرة ص102. ابن الأبار: الحلة السيرة 206/1.

2- وهو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن الناصر، سمي بالطلاق لأنه سجن في أيام المنصور محمد بن أبي عامر مدة طويلة ثم أطلق بعد ذلك. كان أديباً شاعراً وأكثر شعره في السجن. ينظر ابن الأبار: الحلة السيرة 220/1 و221.

3- ابن حزم: الجمهرة ص103.

4- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق نعيم حسيب زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988، ص25.

5- ينظر ابن حزم: طوق الحمامة ص146.

6- هذا المثل مأخوذ من بيت شعري لرجل من بني سلّيم وهو أنس بن العباس في قوله:

لا نسبَ اليومَ ولا خُلةً •• اتسع الخرقُ على الرَّاقعِ

ينظر سيبويه: كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط2، 1979.

7- وهو من بيت للمتنبّي:

وبالنسبة لكتاب (الجمهرة) الذي نحن بصدد دراسته فإنه قد اشتمل على عدد كبير من هذه الأمثال التي أوردها ابن حزم أثناء تتبع أنسابه، مثل قوله: "ولد ضبة بن أد سعد بن ضبة؛ وله العقب، وسُعيد، لا عقب له، قتلته الحارث بن كعب، وله خبر، ثم قتل ضبة الحارث بن كعب وفي ذلك سارت الأمثال الثلاثة: أسعد أم سعيد، والحديث ذو شجون²، وسبق السيف العذل، كلها قالها ضبة"³، ثم عرقوب بن صخر بن عبشمس الذي يقال فيه "مواعد عرقوب"⁴، وكذلك بنو عبق بن خويلد بن عبشمس الذين كانوا أبطالاً، فقتلوا ليلة منسب، ولهم ضرب المثل فقيل (جنة عبق)⁵. كما يذكر ابن حزم بعض الأمثال المتعلقة بالنساء أيضاً مثل قوله: "أحمق من جهيزة" وهي أم الخارجي شبيب بن يزيد بن قيس، لأنها قالت عندما تحرك في بطنها، شبيب هذا (أحس في بطني شيئاً ينقر)⁶.

رابعاً: استخدامه للمنهج النقدي في مؤلفه: كان ابن حزم وعصريه ابن حيان من أكثر المؤرخين الأندلسيين الذين طبقوا المنهج النقدي في كتاباتهم وتأليفهم التاريخية ولما كان ابن حزم على وجه الخصوص مؤرخاً ونسابةً كما أسلفنا لذا فإنه قد حرص

ترديدن لقيان المعالي رخيصة •• ولا بد ودن الشهد من إبر النحل

ينظر ديوان المتنبي، دار الجيل، بيروت د، ت)، ص518.

1- وهو من بيت للنابغة:

والنأس عما فات يعقب راحة •• ولرب مطعمة تعود دُباحا

ينظر ديوان النابغة الذبياني، بيروت، 1968، ص228. عبد الله بن قتبة: عيون الأخبار، القاهرة 1930 ج2/828.

2- ولقد ضمن هذا المثل الفرزدق في شعر له حيث قال:

لا تأمنن الحرب إن استعدها •• كضبة إذ قال الحديث شجون

ينظر الميداني: مجمع الأمثال ج ص258.

3- ابن حزم: الجمهرة ص203.

4- ابن حزم: الجمهرة ص215.

5- ابن حزم: المصدر نفسه والصفحة.

6- ابن حزم: الجمهرة ص318.

على استخدام هذا المنهج النقدي في معظم كتبه بما فيها مؤلفه (الجمهرة) الذي مزج فيه بين النسب والتاريخ في آن واحد.

ومن النماذج الدالة على ذلك عنده قوله: " ثم كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة من الهجرة، هكذا قال أصحاب المغازي، والثابت أنها في الرابعة بلا شك، لحديث ابن عمر: (عرضت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني، ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني) فصَحَّ أنه لم يكن بينهما إلا سنة واحدة فقط، وأنها قبل دومة الجندل بلا شك"¹، وجاء في ترجمته ليحيى بن حمود: "ولي عهد أبيه، مات في حياة أبيه، وقد رأيت بعض من يعاني علم التاريخ ينكر هذا، وهو خطأ منه، ولم أكتبه إلا موقناً بالقصة، وليس من لم يعلم حجة على من يعلم"².

كما نراه أحياناً يخطئ بعض النسابة ويؤكد صحة نسبه هو مثل قوله: "وولد يعقوب بن سلمة إبراهيم، فولد إبراهيم: إسحاق، فولد إسحاق أم سلمة، زوجة أبي العباس السفاح، الغالبة عليه، وهي أم محمد بن السفاح، هكذا ذكر بعض النسابين، والأصح أنها بنت يعقوب بن سلمة نفسه"³، وفي نسب ولد إبراهيم بن عبد الملك بن أبي محذورة يقول: " ويظن أهل الحديث أن اسم أبي محذورة سُمرة، وليس كذلك، وإنما سُمرة أخ لأبي محذورة"⁴.

1- ابن حزم: جوامع السيرة النبوية ص148.

2- ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء ص54.

3- ابن حزم: الجمهرة ص148.

4- ابن حزم: الجمهرة ص123.

كما يرى بعض أهل النسب أنا القاسم بن العباس بن مُعْتَب بن أبي لهب الذي روى عنه الحديث قد قتل يوم قديد، إلا أن ابن حزم يؤكد أن ابنه العباس بن القاسم هو الذي قتل يوم قديد وليس أباه¹.

يبد أنه من جهة أخرى نجده يوجه نقده في بعض الأحاديث إلى بعض من ذكر أنسابهم من الأعلام والرجال وذلك مثلما جاء في ذكره لنسب ولد معاوية بن أبي سفيان، بحيث وصف ابنه يزيداً بأنه قبيح الآثار في الإسلام وأنه قتل أهل المدينة وأفاضل الناس وبقية الصحابة رضي الله عنهم يوم الحرّة، وقتل الحسين - رضي الله عنه - وأهل بيته، وحاصر ابن الزبير في المسجد الحرام واستخفّ بحرمة الكعبة والإسلام². أما بالنسبة لعبد العزيز بن أبان بن سعيد بن العاصي، فقد نعتّه بأنه كان محدثاً ضعيفاً³.

خلاصة القول أن ابن حزم كان واحداً من المؤرخين النسابين الذين تأثروا بمنهج أهل الحديث في تطبيق قاعدة الجرح والتعديل ونقد السند، وذلك لكونه محدثاً حافظاً وإمامه الكبير بعلمي الرواية والدراية.

خامساً: الربط بين الأنساب في المشرق وما يتصل بها في الأندلس: إن من الميزات الهامة لكتاب (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم هو تفصّي صاحبه وتتبعه الدقيق لسكنى الأسر والقبائل العربية التي هاجرت من المشرق الإسلامي إلى بلاد الأندلس سواء مع الجيوش والطوابع العربية أيام الفتح أم بعده وذلك حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الذي عاش فيه. أي بمعنى آخر فإن كتاب (الجمهرة) هذا، يعتبر كتاباً متفرداً من بين كتب الأنساب العربية الأخرى، وذلك لتمييزه بخاصيتين لا تتوفر إلا فيه ألا وهي دارسته للأنساب العربية بعامة في بلاد المشرق

1- ابن حزم: المصدر نفسه ص72.

2- ينظر المصدر نفسه ص112.

3- نفسه ص82.

أسوة بكتب النسب التي سبقته، ثم دراسته في الوقت ذاته لأنساب العرب في العودة الأندلسية وأماكن تواجدهم فيها بصفة خاصة.

ويبدو أن حرص ابن حزم على تتبع أنساب عرب أهل بلده الأندلس يعزى إلى عاملين اثنين، أولهما: درايته التامة بعلم الأنساب العربية، وإمامه الكبير به. وثانيهما: حبه لوطنه واعتداده بهويته الأندلسية التي عبّر عنها أحسن تعبير في "رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها"¹ فضلاً عن إفصاحه بالشعر الذي جاء فيه:

ويا جوهر الصين سُحقاً فقد . غنيت بيا قوته الأندلس².

ومن أمثلة الربط بين الأنساب العربية في المشرق وماله صلة بها في الأندلس، ما ذكره في نسب بني بهدلة الذين منهم الزبرقان الذي يقول فيه: " واسمه الحصين بن بدر بن بهدلة بن عوف بن كعب، له وفادة، وله عقب بطلبيرة، لهم بها تقدم، وكانوا أول دخولهم الأندلس نزلوا بقرية ضخمة تسمى الزُّبارقة نسبت إليهم، ثم غلب النصارى عليها، فانتقلوا إلى طلبيرة، فمحلّتهم بها معروفة بحومة العرب إلى اليوم"³. أما قبائل نمارة فإن منها الطمّاح بن نمارة ودارهم بالمشرق الجزيرة، وبالأندلس مدينتي قرمونة ولبلبة⁴. وبالنسبة لبني كنانة بن خزيمة فإن دارهم بالأندلس شذونة والجزيرة.

كما بيّن ابن حزم نسبة العديد من المدن والمساجد والمنيات والبلاطات والمقابر إلى أصحابها الأوائل الذين يُعزى إليهم اختطاطها أو بناؤها، ومنها:

1- نقلها المقرئ في نفح الطيب ج3، بيروت، 1968.

2- ابن حزم: طوق الحمامة ص205.

3- ابن حزم: الجمهرة ص218 و219.

4- ابن حزم: المصدر نفسه ص327.

- منية المغيرة بشرقي قرطبة: التي تنسب إلى المغيرة بن الحكم¹. وكذلك منية

نصر² بقرطبة أيضاً.

- وشريح: الذي ينسب إليه مسجد شريح بغربي قرطبة³.

- ومقبرة أم سلمة: المنسوبة إلى أم سلمة بنت محمد بن الحكم الرُّبُضِي⁴.

- الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي: وإليه يُنسب بلاط الحرّ⁵ بشرقي قرطبة.

وهكذا يتضح من خلال هذه اللائحة من أسماء المدن والقرى والمساجد. والدور والمنتزهات والبلاطات وغيرها، مدى أهمية كتاب (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم من الناحيتين الجغرافية والمعمارية أيضاً إلى جانب قيمته العلمية الكبيرة في ميدان النسب والتاريخ.

سادساً: تأريخه للمرأة وبيان النسبة إليها: خصص ابن حزم للمرأة جزءاً مهماً من كتاب (الجمهرة) نتيجة لدورها الفاعل أسوة بالرجل في مختلف الميادين الاجتماعية والأدبية والفكرية وغيرها.

ومن هنا فإنه عالج موضوع المرأة في هذا الكتاب على عدة مستويات فمنها تتبّعها لنسبة العديد من النساء ممن ارتبطن ارتباطاً وثيقاً بنسب بعض القبائل أو بعض رجالها المشاهير، أو بقي تأريخه وترجمته لبعض النساء الشهيرات كالأديبات والشاعرات ونحوهن. ثم ذكره لجملة من النساء أيضاً ممن انتسب أفراد القبيلة أو فرع منها إليهن وهو ما اصطلاح على تسميته عند العرب باسم النسبة إلى الأم.

1- المصدر نفسه ص 98.

2- ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، ص 15.

3- ابن حزم: الجمهرة ص 96.

4- ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، ص 99. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس

408/1.

5- المصدر نفسه ص 266.

كما تجدر الإشارة كذلك إلى أن ابن حزم قد صنف كتابا مشهورا في تاريخ المرأة الاجتماعي ألا وهو طوق الحمامة في الألفة والآلاف¹ والذي يعد في الوقت نفسه قطعة أدبية فريدة عالج فيها العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة من منظور فقهي إسلامي محض، وبأسلوب في منتهى الرصانة والبلاغة.

وعلى أية حال فإن حجم المادة العلمية التي تخص المرأة في كتاب (الجمهرة) يعتبر كبير جدا وهو الأمر الذي يجعل منه مصدرا مهما لدراسة تاريخ المرأة في الفترة الإسلامية الوسيطة.

ومن أمثلة الإشارات في هذا الصدد قوله: "وصيلة ابنة وائل ابن عمرو بن جشم بن عوف، أول امرأة أسلمت من قومها وأتت النبي صلى الله عليه وسلم"². أما الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس فهي التي استعملها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على السوق³. وعن ولد الحجاج بن علاط بن بهز بن امرئ القيس يقول وابنه نصر بن حجاج الذي نفاه عمر رضي الله عنه- عن المدينة لقول المرأة فيه:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها . . أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

والمرأة هي فريضة أم الحجاج بن يوسف الأمير، وكانت زوجة للمغيرة بن شعبة⁴. ويذكر أن بني لوزان بن عمرو بن مالك بن الأوس كانوا يدعون في الجاهلية ببني الصماء، فسماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بني السميعة⁵.

1- كان من مصادر ابن حزم في هذا الكتاب بعض الرواة النساء، حيث تكررت عنده بعض العبارات التي تفيد ذلك مثل ولقد حدثتني امرأة أثق بها ولقد أخبرتني عنها أمها وجميع جواربها.

ينظر ابن حزم: طوق الحمامة ص 209-302.

2- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 199.

3- ابن حزم: المصدر نفسه ص 150.

4- المصدر نفسه ص 262-263.

5- نفسه ص 332.

وعلى ذكر النسبة إلى الأم بدلا من الأب يقول ابن حزم: (وابن أم مكتوم مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو عمرو بن قيس بن زائدة، ابن الأصم، نسب إلى أمه، وهي أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم ابن يقظة)¹.

ومن أمثلة الأدبيات الشاعرات اللاني ذكرهن ابن حزم في (جمهرته): ليلى أخت الوليد بن طريف بن عامر الخارجي، وهي القائلة:

أيا شجر الخابور مالك مورقا .² كأنك لم تجزع على ابن طريف
وكانت ليلى هذه تركب الخيل وتقاتل وعليها الدرع والمغفر³.

أما حميدة التي تزوجها روح بن زنباع، ثم الفيض بن أبي عقيل الثقفي فيذكر أنها كانت شاعرة مكثرة، وكانت تهجو زوجها جميعا هجاء كثيرا وهي القائلة في زوجها الأول ابن زنباع:

بكى الخز من روح وأنكر جلده .⁴ وعجت عجيجا من جذام المطارف
والقائلة في زوجها الثاني:

سميت فيضا وما شيء تفيض به .⁵ إلا سلاحك بين الباب والدار³

ويتعرض كذلك لنسب عزة صاحبه كثير الشاعر، وهي عزة بنت جميل بن حفص بن إياس بن غفار⁴. وفي نسبه لبني البكاء يقول إن منهم خرقاء، التي كان يُشَبَّب بها ذو الرمة⁵.

1- نفسه ص171.

2- نفسه ص306.

3- ابن حزم: الجمهرة ص364.

4- المصدر نفسه ص186.

5- نفسه ص281.

يضاف إلى هذا كله أن من الأشياء الطريفة التي استشهد بها ابن حزم في ذكر أنسابه، قوله: وفاطمة بنت عبد الله بن مطيع تزوجها الوليد عبد الملك، وكان مطلقاً. فلما زفت إليه من المدينة، بات عندها فلما أصبح وأراد الخروج، أخذت بثوبه وقالت له يا أمير المؤمنين: إنا عاملنا الأكرياء على الرجوع، فماذا ترى؟ فضحك، وأمسكها ما لم يمسك امرأة غيرها¹.

إذن نستخلص من هذه الشواهد أن ابن حزم يعد من أهم المؤرخين والنسابة الذين أولوا عنايتهم بدراسة أحوال المرأة السياسية والاجتماعية والفكرية والحضارية. سابعاً- القيمة المرجعية لكتاب (الجمهرة) في معرفة النسب الشريف: كان لإمام ابن حزم بعلم النسب وإطلاعه على كثير من المصادر والمضام في هذا الفن أن جعل من كتابه (جمهرة أنساب العرب) مرجعاً مهماً لدراسة الأنساب العربية بعامة والوقوف على من ينحدر منهم من البيت الهاشمي أي بيت النبي صلى الله عليه وسلم من قریش بخاصة ناهيك عن تتبعه لمن هاجر من هؤلاء إلى بلاد الأندلس وتحديد أماكن تواجدهم وسكناهم فيها.

وعلى هذا الأساس فإن ابن حزم قد جعل معرفة النسب الشريف من الشروط الأساسية لمن أراد يكون له دراية بالأنساب وذلك في قوله فأما الغرض من علم النسب، فهو أن يعلم المرء أن محمداً صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله إلى الجن والإنس بدين الإسلام، هو محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي، الذي كان بمكة، ورحل منها إلى المدينة². كما بين أن من أغراض علم النسب أيضاً، أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة³.

1 - نفسه ص 158 و 159.

2- ابن حزم: الجمهرة ص 2.

3 - ينظر ابن حزم المصدر نفسه والصفحة.

أما بالنسبة لترتيب مادة كتابة في النسب فقد جعلها متناغمة مع شرط كتابه المشار إليه حيث قال: "وابتدأنا من ولد عدنان بقریش⁽¹⁾ لموضعه عليه السلام منهم، وابتدأنا من قریش للأقرب فالأقرب منه عليه السلام ثم الأقرب فالأقرب من قریش"². وفي نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم يأتي بأوثق الروايات في ذلك قائلًا: "هو أبو القاسم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب - واسمه شيبه الحمد - ابن هاشم - واسمه عمرو - بن عبد مناف - واسمه المغيرة - ابن قصي - واسمه زيد - بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهنا انتهى النسب الصحيح الذي لا شك فيه"³.

بيد أنه من خلال تتبع ابن حزم للأنساب الشريفة في مؤلفه أوضح كذلك من ادعى من بعض الناس الانتماء إلى البيت الهاشمي، بدون وجه حق مثل علي صاحب الزنج الذي أنتحل شخصية أحد أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب المسمى عليا أيضا والقائم بالكوفة، وقد عاش هذا الأخير بعد مقتل صاحب الزنج بنحو من خمسين عاما ولذلك يقول ابن حزم "فلولا علم النسب، لجاز لهذا الكافر ما ادعى من هذا النسب الشريف"⁴.

ومن جهة ثانية فقد ترجم ابن حزم لعدد من الأشراف الهاشميين سواء في بلاد المشرق أم في بلاد الأندلس. ومن هؤلاء: علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن

1- ولذلك يقول ابن حزم هنا: وهم قریش لا قریش غيرهم، ولا يكون قریشي إلا منهم، ولا من فهر أحدا إلا قریشي، ابن حزم: الجمهرة ص12.

2- ابن حزم: المصدر نفسه ص6.

3- ابن حزم: جوامع السيرة النبوية ص7.

4- المصدر نفسه ص57.

أبي طالب الذي وصفه بأنه أحد العباد بمدينة الكوفة، وأنه قد حمل عنه العلم، وكان أيضاً عالماً بالأنساب¹.

ولما كان ابن حزم أحد المؤرخين والنسابة الذين نهجوا المنهج العلمي النقدي في كتاباتهم، فإنه لم يأل جهداً في ذكر مثالب أو عيوب بعض الأشراف الذين لم يدركوا المكانة الحقيقية للنسب الشريف وسودده.

ومن أمثال هؤلاء: معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي يرى أنه كان غاية في الفسق، مذكوراً بفساد الدين². ثم الحسين الملقب بالأفطس وهو من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب الذي وصفه بأنه أحد المفسدين في الأرض³.

وفي بلاد الأندلس انتقد بعض الهاشميين الذين أخذ كل منهم اسم خليفة وهم في ثلاث مدن متجاورة وهي: الجزيرة الخضراء، ومالقة، وببشتر، معتبراً إياها فضيحة لم يقع في العالم مثلها⁴.

لكن على الرغم من انتهاج ابن حزم المنهج النقدي في كتابته للأنساب كما لاحظنا هنا، فإنه لم ينج من الوقوع في بعض الهفوات الطفيفة كغيره من علماء النسب الذين سبقوه، وذلك مثلما ورد لديه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعقب ذكراً إلا إبراهيم⁵. ثم قوله مرة ثانية أن له ولدين آخرين غيره. حيث جاء في النص: "وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الولد سوى إبراهيم: القاسم، وآخر اختلف في اسمه، فقيل: الطاهر، وقيل: الطيب، وقيل: عبد الله، وقيل عبد العزى، ماتوا صغراً جداً"⁶.

1- ينظر المصدر نفسه ص 56.

2- ابن حزم: الجمهرة ص 68.

3- ابن حزم: المصدر نفسه ص 53.

4- ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء ص 97-98.

5- ينظر ابن حزم: الجمهرة ص 15.

6- المصدر نفسه ص 16.

نتائج البحث: وبعد هذا العرض المتواضع لموضوع: [المؤرخ النسابة ابن حزم وكتابه (جمهرة أنساب العرب)] أمكن التوصل إلى مجموعة من النتائج نوجزها في النقاط التالية:

- 1- أثبت البحث أن ابن حزم يحتل مكانة سامقة بين علماء النسب المسلمين، من حيث شمولية كتابه (الجمهرة) وتنوع مصادره ودقة معلوماته وغازاتها وهو ما دفع بالعلامة ابن خلدون إلى أن يطلق عليه اسم إمام النسابين والمحققين.
- 2- إن من أهم الميزات التي تفرد بها ابن حزم بين علماء النسب الآخرين في هذا الكتاب هو اعتماده منهج الجمع بين علمي النسب والتاريخ في آن واحد وذلك لدرايته وتمكنه من هذين الفنين معا، فأضحى الكتاب بهذه الطريقة مصدرا مهما لدراسة التاريخ الإسلامي ولدراسة الأنساب العربية في الفترة الوسيطة أيضا.
- 3- لما كان ابن حزم إحدى القمم الفكرية في تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية، بوصفه عالما موسوعيا، نبغ في مختلف أفانين العلم وضرورة المعرفة كالفقه والحديث والتفسير والتاريخ والنسب والأدب واللغة والمنطق والفلسفة، لذا فإن هذه الثقافة الواسعة قد تجسدت بجلاء في مؤلفه (الجمهرة) الذي جاء أشبه بدائرة معارف متكاملة.
- 4- نظرا لكون ابن حزم أحد كبار علماء الأندلس ومفكرها، لذلك حرص كل الحرص على أن يدرس الأنساب العربية في المشرق وما يتصل بها في الدعوة الأندلسية، فأضاف بذلك حلقة جديدة إلى علم الأنساب العربية لم تتوفر إلا عنده.
- 5- يعتبر كتاب (جمهرة أنساب العرب) أحد المراجع المهمة لدراسة تاريخ المرأة ودورها الفاعل في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في العصر الوسيط.
- 6- وفيما يتعلق بالنسب الشريف فإن ابن حزم قد اشترط على من أراد أن يكون له إمام بعلم الأنساب بأن يكون له معرفة تامة بالنسب الشريف الذي يرجع إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم الهاشمي من قريش. كما أكد أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة جد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

7- يضاف إلى ذلك أن تأثير العلامة ابن حزم في تلامذته والدارسين عليه في علم النسب كان كبيراً، وذلك من حيث الاحتذاء به والتأسي بطريقته واستنهاج سبيله. ومن أشهر هؤلاء ابنه أبو الفضل رافع (ت 479هـ/1086م) الذي صنف كتاباً في التاريخ والنسب سماه: (الهادي إلى معرف النسب العبادي)، وأبو عبد الله الحميدي (ت 488هـ/1095م) صاحب كتاب (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس) وصاعد بن أحمد الطليطلي (ت 462هـ/1069م) مؤلف كتاب طبقات الأمم).